صـــراع مـــع التاريـــخ والجغرافيـــا فـــي الجزائـــر

تقزم كل شيء في الجزائر بعد أن كان كبيرا، وما ذلك إلا لأن الإنسان، الذي هو الضامن لكل تشييد وبناء، قد تقزم هو الآخر بعد أن كان عملاقا في عهد الجهاد والثورة. فالمفاهيم الكبرى، التي تبني الوطن، وتخلد معنى الزمن، قد صغرت، عندما أفرغت من محتوياتها، واغتيلت مبادئها، وكل معطياتها.

بقلم الدكتور عبد الرزاق قسوم

إن الوطنية، والانتماء الحضاري، والثورية والهوية، والبناء المعماري، والجهاد والتدين، وتوحيد الشمال مع الصحاري، كلها أضحت مقولات خاضعة لحاله الطوارئ. يحدث هذا في الجزائر، عندما اهتزّت منظومتها التربوية، واضطربت بنيتها الاجتماعية، واستبد - في البناء الاقتصادي البعض بالنصوص - فدخل اللصوص.

فالمؤسسة التربوية، من الحضانة إلى الجامعة تخلت عن الأسس المضادة للزلازل الحضارية، كالأخلاق، والتاريخ والجغرافيا، فأصبح الداخل إليها مفقودا، والخارج منها مولودا، ولكن أية ولادة. إن من المسلم به أن الأخلاق هي الاسمنت الذي يشد التاريخ والجغرافيا، وهما الحديد البشري الذي به يقام صرح الأوطان، ويثبت معنى الإنسان والبنيان. فيوم تخلينا عن التاريخ الذي هو العلم الممتد - عموديا - في بناء الإنسان وأخضعناه للجدل البيزنطي وحصرناه في سؤال كسؤال، من نحن؟ أو من نكون؟ ما أصولنا؟ وبأية ثقافة نأخذ؟ ومن أية نافذة يكون التنفس والمنفذ؟ عندها بدأت الأزمة.

وكذلك فعلنا بالجغرافية، التي هي العلم الذي يمتد - أفقيا - في قاماتنا، فيعلي هاماتنا الإنسانية، ويعمق مساحاتنا الوطنية، لقد لونّا خارطتنا الجغرافية بلون الجهوية السوداوية، والعصبية الطوباوية، والعنصرية الانفصالية، فأصبحنا مهددين في وحدتنا الوطنية.

والحقيقة أن ما يحدث، من راهن قاتم السواد نعيشه - اليوم - في جزائرنا الحبيبة، إن هو إلا تجسيد لنتائج خطيرة صنعتها مقدمات فاسدة. ومن المقدمات الخاطئة التي بنينا عليها منظومتنا، استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقد تخلّينا عن لغة الضاد والجهاد والبلاد، وهي لغتنا العربية، لغة القرآن والإيمان، ووضعنا بدلها لغة الدخيل العميل، والإنجيل... فماذا ننتظر بعد كل هذا؟

ومن المقدمات الفاسدة أيضا، أننا أصبحنا نعلم - في المدرسة - ولا نربي، فابتلينا بالتلميذ الذي يعتدي على معلمته، وبالطالب الذي يقتل أستاذه، وبالأستاذ الذي يعتدي على تلميذته، فضلا عمن يقتل أمه، ويغتال أباه أو أخاه، ولا تسأل عن زنا المحارم، والسطو على المغارم، وتفشي المظالم في كل المعالم.

ومن المقدمات الفاسدة، تشويهنا لمعنى التاريخ، في عقول الأجيال، فأخرجنا للناس جيلا يكفر بالتاريخ ويطالب بوضعه في المزبلة، ولا يفقه من تاريخ بلاده قيد أنملة، وكان ذلك هو فتح الصراع مع الأصالة، وعلم الانتماء. فهل يعقل أن نأتمن مثل هذا الجيل على مستقبل الوطن، وهو الفاقد للأخلاق والوطنية، وإن فاقد الشيء لا يعطيه كما يقولون.

وتعال معي أيها القارئ العزيز إلى أطلس الجغرافيا، لنشهد العجب العجاب، فقد قزمنا معنى الجغرافية الوطنية إلى، معنى الجهة، فالقرية، فالقبيلة، وأصبح الوطن بالنسبة لكل واحد، هو رقعة ضيّقة، لا تتعدى مساحة علبة الكبريت، فكيف نعجب بعد كل هذا، من أن يخرج من أصلاب مناطق منا، من يطالب بالانفصال وإعلان الاستقلال.

إنها والله للحالقة، وإنها لعلامة من علامات قيام الساعة في الجزائر، إذ يجرؤ من يقدم على هذه الكبيرة من الكبائر الوطنية. إننا نبرؤ إلى الله وإلى التاريخ، مما يفعله بعض السفهاء منا، الذين يتجرأون على إتيان المحرمات، ولا يقابلون برد فعل، من دعاة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكرات.

إن صراعنا مع التاريخ والجغرافية، هو صراع ذو أبعاد مختلفة، فهو من حيث الأسباب، يقوم على عناصر ثقافية، واجتماعية، وأخلاقية، وهو أيضا ذو أبعاد إيديولوجية تغريبية، خارجية، تضمر كل حقد وكل كراهية لوطننا وشعبنا، ولكنه من حيث منهجية العلاج، ينبغي أن تتصدى له كل أصناف المجتمع، وقواه الحية من علماء ومجاهدين، وشباب، وحرائر، لأن الجرح قد أصابنا في الحجر، كما يقول مثلنا الشعبي، والمسؤولية الكبرى - في كل هذا - تقع على كامل أنحاء الوطن عموما، وعلى منطقة القبائل خصوصا، هذه القطعة العزيزة من الوطن الغالي، التي كتبت بمداد من ذهب، سجل التاريخ الثقافي والجهادي، فهي التي أحبت لغة الضاد بفضل علمائها، وهي التي أصّلت للجهاد بفضل زعمائها، وهي التي عمّقت معنى التاريخ والجغرافيا بفضل شهدائها.

فإذا ذكرت العربية، ذكر ابن معطي الزواوي، صاحب الألفية. وإذا ذكر التاريخ، ذكر المقراني، وبوعمامة، والحداد، ولالا فاطمة أنسومرية. وإذا ذكرت الجغرافية، أتى استشهاد عميروش والحواس، جنبا إلى جنب، فأبيا إلا أن يذكرانا بالمعركة البطولية والموقعة الجغرافية.

إن الصراع مع التاريخ والجغرافية، الدائر اليوم، على أكثر من صعيد في وطننا، يجب أن يكون الملهم لحكومتنا، في أن تعمل على استئصال أسباب الشر، فتقتلعها من جذورها، وأولى الخطوات، تبدأ باستعادة الذات المفقودة، فتعرّب الألسن والمحيط، كخطوة أولى لتوحيد الشعب عقليا ونفسيا، ثم تعمد إلى المنظومة التربوية، فتعمل على أخلقتها، بضخ برامجها بالقيم الإنسانية النبيلة التي تلتقي على أكثر من صعيد مع القيم الإسلامية الجليلة.

> **من المقدمات الخاطئة التي بنينا عليها منظومتنا، استبدال الذي هو أدنى بالذي هو خير، فقد تخلّينا عن لغة الضاد والجهاد والبلاد، وهي لغتنا العربية، لغة القرآن والإيمان، ووضعنا بدلها لغة الدخيل والعميل، والإنجيل... فماذا ننتظر بعد كل هذا؟**

ثم تعمد إلى علمي التاريخ والجغرافية فنخلصهما أولا من بعض السماسرة، في السياسة، أو في الأيديولوجية العنصرية، وتعيد بناءها على القواعد العلمية والوطنية الصحيحة، فما وحدته يد الله، لا يمكن أن تفرقه يد البشر، ولا نعرف من تاريخ وحد شعبنا، إلا تاريخ الإسلام، ولا نعرف من جغرافية وحدته، إلا جغرافية الوطن الجزائري.

يجب أن يدرك الجميع، أن دائرة المؤامرة على الوطن، هي أوسع مما نتصور، وأن الوحدة الوطنية، هي وديعة العلماء والمجاهدين والشهداء في أعناقنا، فإذا لم نصنها، ولم نذد عنها، نكون - إذن - قوما خاسرين.

على أن كل مواطن، وكل مواطنة في هذا الوطن، من الجدّة والجد، إلى الحفيدة والحفيد، كلهم مسؤولون عن وعي التاريخ، والجغرافيا لتعزيز الوحدة الوطنية، وصلابتها لنواجه بها، أطماع الطامعين، وأغراض المغامرين.

لقد «وحدنا» الاستعمار بظلمه، وقمعه، فمن العار أن يفرقنا الاستقلال «بعدله» ونبله. إن كل أنواع الجروح يمكن أن تندمل، فجرح الفقر، وجرح السكن، وجرح البطالة وما أشبهها، يمكن أن تندمل في ظل الوحدة الوطنية، إلا جرح تمزيق الوطن وبتر أيّ جزء منه، فإنه سيكون الجرح الذي يودي بالوطن كله، فحذار... ثم حذار.

إن أسلافنا من علماء، ومجاهدين، وشهداء، ينظرون إلينا من علياء جنتهم، وفردوس خلودهم، ماذا نحن فاعلون لهذا الوطن، الذي وهبه الله، كل النعم، نعمة الجغرافية، ونعمة التاريخ، ونعمة الإنسان؟ وإنه ليحز في قلوبنا أن نرى هذه النبال التي تصوب إلى جسم وطننا الهش، من الأباعد والأقارب.

فهل نرضى بهذا، ونظل مكتوفي الأيدي أمام هذه العدوانية الغاشمة؟

إن التاريخ قد فتح سجلاته، وصحائفه، فلنسجل فيها بمداد الرجولة والفحولة والبطولة، مكرمة إنقاذ وحدة الوطن، بعد أن فاتنا تسجيل مكرمة عدله، واستقراره، وازدهاره. إننا نملك القدرة على ذلك، ولدينا كل الإمكانيات، بشرط أن تخلص النوايا، وأن تطهر الصفوف من المفسدين، والوصوليين، والانتهازيين، فالوطن لا يبنيه إلا المخلصون، ولا يحميه إلا المجاهدون، ولا يدافع عن ثوابته ووحدته إلا الوطنيون.

ورحم الله إبراهيم طوقان في قوله:

أفنيت يا مسكين عمـ ـرك في التأوه والحزن
وقعدت مكتوف اليديـ ـن، تقول جار بي الزمن
ما لم تقم بالعبء أنـ ـت، فمن يقوم به إذن؟

تبّـــا لدنيـــا أمّهـــا مصـــر!.. (2/2)

لا نطيل كثيرا في تبيان زيف الفراعنة وقصر نظرهم وعجزهم وخدمتهم للعقائد اليهودية التي منها يخدمون الصهيونية بامتياز، فالمقام لا يسمح لعرض كل الشواهد، ويمكن العودة لدراسات الباحث المصري في شبكة الإنترنيت.

بقلم أنور مالك

ولم يتجلّ التزييف في حكم حسني مبارك وسوزان وأطفالهما وخدمهم فقط، بل امتد إلى فترات يحتفل بها المصريون اليوم ويعدونها إنجازات مثل معركة أكتوبر 1973 التي كانت منعطفا آخر لا يقل شأنا عن عام النكسة 1948. إن من قاد معركة أكتوبر وظنّ أنه حقق انتصارا رهيبا قد يضاهي ثورة الجزائر كما هو في المخيال الفرعوني الرسمي الموبوء، لم يلبث على عهد الحرب أياما وذيل الهزيمة بما هو أمر ويتمثل في معاهدة كامب ديفيد التي لا تزال تعود بالوبال والعار على مصر ودول المنطقة وقضية الإنسانية الأولى وهي فلسطين. فترى هل من الممكن أن نعتبر ما قام به السادات هو دليل انتصار في حين لم تسترجع مصر أرضها إلا بمعاهدة وخطاب غرامي تحت قبة الكنيست؟ لماذا العلاقات الجزائرية الفرنسية لا تزال تتقلب على صفيح ساخن منذ ما يقارب نصف قرن بالرغم من أن فرنسا الاستعمارية وقع نهايتها أبطال الجزائر عام 1962؟ ماذا لو أن فرنسا لا تزال تحتل وتعتدي على بلد جار كالمغرب أو تونس أو حتى مالي أو النيجر وتحتل أرضهم وتبيد أطفالهم، هل من الممكن أن نجد الجزائري يضع يده في يد الفرنسي الملطخة بالدم؟!!

حتى وإن كانت المقارنة لا يمكن أن تحدث لأن فرنسا دولة عريقة لها أرضها وتاريخها، في حين إسرائيل ولدت من فراغ على أنقاض زعامة مصر للمقاومة والثورة، وما خلفت لنا إلا الهزائم والخيبات والنكسات التي لا تحصى ولا تعد، ولو أردنا الخوض في غمارها ما كفتنا المجلدات.

عندما أجد رئيسها المريض في الجسد والعقل والروح يبرق بالتهاني إلى شمعون بيريز رئيس ما يسمى "بدولة إسرائيل"، ويحمل له التبريكات والقبلات وأكاليل الورود على قيام "دولة إسرائيل" والتي جاءت طبعا على أنقاض هزيمة نكراء مني بها العرب وبقيادة مصرية تحت مبرر الأمومة والأخت الكبرى. - والله - أصابُ بالخيبة المطلقة، لأنه لا يعقل أن نقبل بهذه الزعامة وهذه الأمومة الفاسدة، لأنها أم عازبة قد حملت سفاحا بعد لحظات هوس وشبق جنسي وتبضع في أحد مواخير تل أبيب أو واشنطن التي لا يرتادها إلا الحاخامات وبارونات المال ولوبيات الكيان الصهيوني المتجول.

عندما أجد آل مبارك يتآمرون على أحرار غزّة في وضح النهار، فبعد حرب الفسفور الأبيض التي باركها مبارك بقبلات على خدود ليفني وإن كانت إسرائيل لا ترى القاهرة غير منتجع للنفايات الجنسية وبقايا مخلفات بني صهيون الطبيعية والآدمية، جاءت هذه المرة تلك الجدران الفولاذية وبعدها تحقق استعمال أسلحة كيماوية في الأنفاق، بغض النظر عن المتابعات القضائية والاستخباراتية التي تطال حتى بعض الأحرار والنشامى المصريين الذين صار لا يظهر صوتهم في ظل نقيق الضفادع ونهيق الأحمرة ونباح الكلاب وتنهدات وتوجع الراقصات في الليالي الحمراء التي تنقل عبر التلفزيون الرسمي كفخر كبير لما صارت تبدعه مصر، فبعدما كانت تتباهى بجمال الدين الأفغاني ومحمد عبده وطه حسين والعقاد وأحمد شوقي وغيرهم، صرنا لا نرى إلا سيقان يسرى وبطن فيفي وورك ليلى للأسف الشديد، ولا نسمع إلا وعود صابرين التي سترقص بحجابها لو ينهزم رفقاء عنتر يحيى في مونديال جنوب إفريقيا، وأتمنى أن لا يتحقق حلمها ليس من باب مناصرة الفريق الجزائري فقط بل غيرة على الحجاب الذي سيهان بخصر ممثلة ادعت أنها تابت لربها من ضلال العفن.

لما أفتح سجل التاريخ وأجد مصر على رأس الدول العميلة التي تآمرت على العراق، ولعبت دورا في فتح أبواب الخليج للقوات والقواعد الأمريكية التي صارت تسرح وتمرح لحماية الكيان الصهيوني الذي يزحف نحو ما يملأ حلمه الممتد من النيل إلى الفرات. وأجد مصر أيضا تتآمر على لبنان من أجل أن يغدو جنوبه كصحراء سيناء فيها يقبر المصريون وتدفن النفايات النووية ويتبارى العشاق الصهاينة بالعرض المصري في وضح النهار وتحت تشجيع شركات يملكها بارونات الحزب الحاكم تحت الرعاية السامية لفخامة الرئيس مبارك وتحت الوصاية السامّة لعياله!!

عندما أفتش في دفاتري علني أجد ما يشفع لهذا البلد الذي يريد أن يتزعم أمة هي في الأصل بقايا أمة من فرط الهوان لولا ما يحمرّ له الوجه من ثورة الجزائر الخالدة، أعود عليلا وقلبي يتفطر كمدا وأنا صفر اليدين من مغامرتي الفاشلة والبائسة، فترى هل من الممكن أن يقبل الآن أي أحد فيه أدنى نخوة وكرامة بأن تظل مصر هي أم الدنيا كما هو موجود في بروتوكولات خبثائها ممن ينبحون صباح مساء عبر قاعات التحرير المحصنة والمكيفة ولو دعوت أحدهم يوما لرد عدوان على بلاده لبلل سرواله خوفا وذعرا؟

حطّموا أسنان من تجرأ على الجزائر أولا

ربما يتساءل البعض عن مناسبة هذا الموضوع، وقد أتهم بأنني أنفخ في الرماد لأحرق كل أوراق التهدئة التي تسعى أطراف من أجل إرساء دعائمها بعد تلك الحملة القذرة التي طالت تاريخ الجزائر وشعبها الأبي الكريم. لقد ردد -وبإخلاص قلّ نظيره- صديقي المكرم ورفيق أيامي يحيى أبو زكريا على قناة "الجزيرة" الرياضية، كلمة ستخلد بلا شك في دفاتر تاريخنا العريق عندما قال: "سندكدك خيشوم كل من يتجرأ على الجزائر" وقلتها أنا أيضا في قناة "الكوثر" الفضائية: "سنحطم اليوم أو غدا أسنان كل من تجرأ على شهداء الجزائر"، وأؤكد هنا على أنه لن أقبل الصفح يوما ولا الحوار ولا الغفران ولا السماح ما دمت لم أر عقوبة سلطت على أولئك الذين نبحوا على أشراف الأمة ممن دفعوا دماءهم في سبيل عزتها، بل بينهم من سقط في معركة الدفاع عن حياض مصر ولا يزال دمه يعفر رمل سيناء التي يدنسها عملاء الموساد وتقطع فيها أقدام الفلسطينيين.

> **بعدما كانت مصر تتباهى بالأفغاني ومحمد عبده وطه حسين والعقاد وشوقي وغيرهم، صرنا لا نرى إلا سيقان يسرى وبطن فيفي وورك ليلى للأسف الشديد، ولا نسمع إلا وعود صابرين التي سترقص بحجابها لو ينهزم رفقاء عنتر يحيى في مونديال جنوب إفريقيا.**

قد أتهم بأي شيء هذا لا يهم ما دمت دوما محلّ نقد ومتابعة، أقولها حتى يعلم الجميع وعلى رأس ذلك دعاة التهدئة والصلح الأبيض، أنني متطرف إلى حد الجنون بحب الشهداء، لأن بينهم جدي وعمي وخالي وقريبي وأخي في جزائريتي. فهل من الممكن أن أسامح العربيد الذي نبش قبورهم بلسانه المخمور لمجرد تهدئة عابرة تأتي بمبادرة فردية يقودها أولئك الذين حرضوا بالأمس ومن أحضان عشيقاتهم على تلك الإساءة التي لم تحدث من قبل، حتى المستعمر الفرنسي نفسه لم يتجرأ عليها لأنه يعلم صدق وكبرياء هؤلاء الكرماء الذي أكرموا الثرى برفاتهم؟!!

إن كان حال مصر أصبح على ما هو عليه من عمالة للصهاينة وتآمر على الأحرار وخيانات للشرفاء، وما دام إعلامها الذي كان من المفروض أن يناط به دور ريادي قد تحوّل إلى مجرد مواخير لا تصلح إلا للفسق والدعارة وبيع الهوى. وإن كان رئيسها يرى كرامة شعبه أنه أهين كذبا في مباراة كرة قدم بأم درمان ومن طرف أنصار أبرياء لم يثبت عليهم لحد الساعة أي شيء، في حين يغض الطرف تحقيرا للذين لا يجدون قوت يومهم ويغرقون في عبّارات ذكور حزبه، وقد تجاوز عدد الفقراء بين المصريين نسبة 40٪ في ظل ثروة يستحوذ عليها 1٪ من عصابة فاسدة يرعاها أبناء سوزان. فإننا نحن أحفاد باديس نرى كرامة شعبنا في تاريخ الشهداء الذين لا يزال يحتذى بهم في لبنان والعراق وفلسطين وسورية وكل شبر لا يزال ينشد الحرية ودحض المستعمر الغاشم. كرامة الشعب الجزائري في تاريخه ونصاعة ماضيه، في وقفاته البطولية مع أي حر يأبى العبودية ولو كان في أدغال الأمازون.

ما دامت مصر تبيد أطفال غزة بالسلاح الكيماوي المحرم دوليا، لا لشيء لأن فقراء هذه الأرض الشهيدة قد هربوا تحت الأنفاق من أجل نجدة شعبهم المحاصر بالسلاح والقوت والحليب والدواء. ما دامت مصر آل مبارك وصل بها الحال إلى أن نيلها سيجف ماؤه بعدما جفّ عرق نيلها الفضائي بورق صحيفة مستقلة تشرق في الجزائر، وسيساوم شعب الكنانة في قطرة ماء تطفئ عطش الجوع والفقر والرغيف المفقود والنوم في المقابر وقارورات الغاز التي طارت في السماء.

ما دام الحال قد وصل إلى هذا الأمر، وما دمنا سنشهد قريبا عدوانا صهيونيا جديدا قد يستهدف دمشق أو بيروت وبمباركة في شرم الشيخ، فأصرخ أنا في العالم كله ومن دون تردد أو تلعثم مفضلا الموت على حياة الذل والمكر:

تبا لدنيا أمها مصر... وتبا لدنيا همّها مصر...

anouarmalek@gmail.com